المحاضرة الثامنة : المدرسة السياقية . **الأستاذة: وفاء دبيش.**

تمهيـــد

لا يخفى على أحد من الدارسين اليوم ما عليه من الهتمام البالغ بالسياق وقضاياه ومتعلقاته ، إذ حظي عند الكثير من الباحثين المحدثين اليوم بأكثر مما كان عليه سابقا، خاصة ما كان منه مرتبطا بملابسات الخطاب عموما ، أو ظروف إنتاج الخطاب ، فنجده اليوم ضمن مناحي الدرس التداولي ، واللسانيات الاجتماعية ، ولسانيات الخطاب ... وغيرها بل أصبح لكل طائفة تصور خاص حسب المرصد الفكري ومرجعيته ، وضم على حقله الكثير من المتعلقات والمناطات، فماهو السباق من هذه الجهة ؟

وكيف استطاع بعض المهتمين جعله مستقلا بنظرية خالصة ؟ من هم روّاد النظرية السياقية وما جديدهم ؟.

1-المدرسة السياقية

بدأت الدورة الأولى في 12 أكتوبر 1942 وكانت لأفراد "سلاح الجو الملكي البريطانيRoyal Air " " Force"، لقد استخدم كتب الشفرات اليابانية التي تم الاستيلاء عليها، ومواد أخرى من هذا القبيل لوضع قائمة بالمفردات العسكرية الأساسية، ورتب لمعلمين يابانيين اثنين في School of Oriental and African " "SOAS Studies" ("كان أحدهما محتجزا في "جزيرة مان "Isle of Man" "لكنه تطوع للتدريس، بينما كان الآخر "كندي / ياباني" لتسجيل الجمل التي يمكن استخدام هذه الكلمات فيها.

استمع المتدربون عبر سماعات الرأس إلى تسجيلات تحتوي على عبارات مثل " Bakugeki junbi taikei tsukure"اتخاذ تشكيل للقصف)، في نهاية كل دورة أرسل تقريرا إلى "بلتشلي "بارك "Bletchley Park " "يعلق فيه على قدرات كل متدرب تم إرسال المتدربين في الغالب إلى "الهند"، ولعبوا دورا حيويًا خلال "حملة بورما "Burma Campaign "الطويلة التي تحذر من غارات القصف، وكان عدد قليل منهم يقومون بمهام مماثلة على سفن البحرية الملكية خلال العام الأخير من الحرب حصل على وسام رتبة الإمبراطورية البريطانية "OBE " "Order of the British Empire"عام 1945 تقديراً لعمله أثناء الحرب [1] من عام 1930م وحتى

(1) Peter Kornicki, Eavesdropping on the Emperor: Interrogators and Codebreakers in Britain's War with Japan, Hurst & Co, London, United Kingdom, 2021, pp. 18, 61-62, 64, 92, 146-148, 292

عام 1955م ، قام اللغوي "جون روبرت فيرث" بتأليف وتحرير كتابه "ملخص للنظرية اللغوية A synopsis of linguistic theory" "وطبع في مطبعة دراسات التحليل اللغوي"Studies in Linguistic Analysis " "، و"مطبعة بلاكويل " "blackwell publishing"و "مطبعة أكسفورد"، وفي عام1957 م، تم إعادة نشر هذا الكتاب للمرة الثانية في مجلة دراسات التحليل اللغوي.

ومن عام 1952م وحتى عام 1959م ، قام طلاب اللغوي "جون روبرت فيرث" على شرفه، بتأليف كتاب أسموه" مجموعة أوراق مختارة لكافة مؤلفاته حيث لاقى هذا العمل رواجًا كبيرًا؛ وذلك لأنه كان عبارة عن يشمل من كل عمل مقتطفات جعلته كتابًا متكاملاً، قام طلاب اللغوي جون روبرت فيرث" بتأليف كتاب متمي "ذكرى جون روبرت فيرث"، [1] "In memory of J R.Firth" وكان يشمل معظم أعماله في علم الأصوات والصوتيات، وبعدها قام اللغوي "جون روبرت فيرث" بتأليف كتابه "مدرسة لندن للغويات" (دراسة في النظريات اللغوية)

السياق من حيث اللغة والاصطلاح

أ. السياق لغة: السياق لغة من الجذر اللغوي "س و ق"، والكلمة مصدر (ساق يسوق سوقة، وسياقة، فالمعنى اللغوي يشير إلى دلالة الحدث، حيث يقال: سقت إلى امرأتي الصداق، وأسقته، وتساوقت الإبل تساوقا إذا تتابعت، وساق الحديث: إذا رواه على سياقه، وسياق الكلام تتابعه، وأسلوبه الذي يجري "عليه [2] ؛ فمن خلال النظر إلى التعريف اللغوي لمادة السياق" يتضح أن المعنى يدور حول الاتصال، والمتابعة.

ب السياق اصطلاحا: هو المحيط اللغوي الذي تقع فيه الوحدة اللغوية[3]، سواء أكانت كلمة، أو جملة في إطار من العناصر اللغوية، أو غير اللغوية ، ويرى "هاليداي " : "Michael Halliday"أن السياق "هو النص الآخر، أو النص المصاحب للنص الظاهر، وهو بمثابة الجسر الذي يربط التمثيل اللغوي ببيئته الخارجية" [4] ويقول "بروس إنغام" : "Bruce Ingham" "السياق يعني واحدا من اثنين:

أولا: السياق اللغوي، وهو ما يسبق الكلمة، وما يليها من كلمات أخرى.

ثانيا: السياق غير اللغوي؛ أي: الظروف الخارجية عن اللغة التي يرد فيها الكلام" [5]

وهذا التفريق بين نوعي السياق هو ما أكسبته نظرية "فيرث" حين أصبح تناول المعنى

---

(1) Charles Ernest Bazell and others, In memory of J.R.Firth, Longmans, London, United Kingdom, 1966.

(2)ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله على الكبير ،وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1981 م، ج 01، ص 2092

(3)الطلحي بن ضيف الله، دلالة السياق، مطبوعات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1996 م، ج 01، ص51

(4)حيدر فريد عوض، سياق الحال في الدرس الدلالي تحليل وتطبيق مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1998 م، ص 29.

(5)الطلحي بن ضيف الله، دلالة السياق، ج 01، ص 51

لهذين الجانبين وهما: السياق اللغوي" أو "سياق النص "Contexte linguistique " ، و"السياق غير اللغوي" أو "سياق الموقف"Contexte de la situation" "[1]

2- التصورات النظرية واللسانية لجون فيرث:

تقوم تصورات غيرث اللسانية على ثلاثة مرتكزات أساسية، هي: [2]

1-التركيز على البعد الاجتماعي للظاهرة اللغوية في أساسها الثقافي التواصلي؛ مما يعني قيام التحليل اللغوي على وصف العلاقة بين اللغة والأنساق الاجتماعية.

ب- التمييز بين العلاقة النسقية الداخلية بمستويها الركني والاستبدالي والعلاقة السياقية الخارجية الموقف ومقتضى الحال.

ج- وضع علم الدلالة la semantique) في صلب الدرس اللساني الحديث، حيث يرى بان المهمة الأساسية للسانيات الوصفية دراسة الدلالة اللغوية.

وبهذا يكون فيرث قد شق طريقاً أصيلا في اللسانيات الإنجليزية التي سيكون أول من يضعها في سياقها العلمي الموضوعي بند مع اللسانيات الأوروبية التي قطعت مسافات لابأس بها في هذا المجال، غير أنه سيضيف معيارًا جديدًا إلى النظرية العلمية لم يكن في موضعه المناسب قبله ولا بعده، وهو معيار الدلالة، ويجعلها الركيزة الأساسية في محام اللسانيات الوصفية وسياتي . معه وبعده المدارس الشكلية لتؤجل هذا المعيار وتكتفي بالأشكال والعلاقات اللسانية بين مختلف الوحدات من سابير وبلومفيلد وهاريس حتى استدركه تشومسكي في منواله الثاني بدها من 1965م، وخصص مكونا جديدة يتناول فيه الدلالة

ضمن النظرية اللسانية فضلا عن ثنائية "البنية العميقة والسطحية."

كما أن حديثه عن الثقافة وربط الأحداث اللسانية التواصلية بها والانساق الاجتماعية جعل عمله يستجيب تماما لما سيتم تطويره داخل اللسانيات وهو البعد الاجتماعي لا بمفهوم سوسير وإنما بمفهوم اللسانيين الاجتماعيين Sociolinguistique ، من جمة والأنثروبولوجيون Anthropologie من جهة ثانية نظرا للبعد الثقافي في اللغة في الحقيقة هذه الميزة سنجدها كثيرا في المدارس الإنجليزية والأمريكية خصوصًا نظرا لطبيعة مجتمعاتهم التي تكثر فيها اللغات واللهجات Dialectes والعرقياتRaces الإثنياتEthnies ، ولم يقوموا كباقي الأوروبيين بتجاهلها او الاعتقاد بانها أقل قيما من اللغات الرسمية التي درسوها، وسيتبعه في ذلك أهم طلبته وهو ما يكل هاليداي Michael Alexander Kirkwood Halliday، 2018/1925م .يعد هاليداي من أبرز علماء مدرسة لندن، بل ويلقب أيضا بالفيرثية الحديثة (no firthian) أو مدرسة

(1)أف أو بالمر، علم الدلالة، ترجمة محيد الماشطة، مطبعة العمال المركزية، بعداد العراق، 1980م، ص 74.

(2)ينظر: عبد الحق العابد المرجع السابق. ص 118 بتصرف

النحو النظامي(grammaire systematique) ، حيث ألف لهذا الغرض ترسانة من الكتب من أهمها: "علوم اللسان وتعليمية اللغات.
"Les sciences linguistiques et l'enseignement des languesسنة 1964م، و "استكشافات في وظائف اللسان Explorations dans les fonctions du langage"سنة 1973م، وكتاب: "التماسك في اللغة الإنجليزية Cohesion en anglais"سنة 1976م ، النظام" والوظيفة في اللسان système et fonction . dans le langage"
العام 1976م، و "قراءات في اللسانيات النظامية Lectures en linguistique systemique" 1981م، واللغة، والسياق، والنص، "Langue, contexte et texte" 1985م، و "تطورات جديدة في اللسانيات النظامية، Nouveaux développements en linguistique systemique 1987م، واللغة والمجتمع، Langue et société 2009م
وأخيرا كتاب: لسانيات النص كيف ولماذا المعنى ؟ Linguistique des textes : le comment et le pourquoi du sens، 2014م، حيث اشتغل في هذه الكتب دون هوادة لإثبات على ... النحو النظامي قائم على كفاءة اللغة في استعمالها المجموعة من الاختيارات والبدائل اللسانية في سياق معين.. [1] وبالعودة على فيرث فإن السياق مرتبط ببعدين لغوي داخلي وتتفرع منه جملة من المستويات والأنواع، وخارجي مرتبط بالوقائع الاجتماعية والثقافية.

3-أنواع السياق اللغوي:
1- **السياق اللغوي**: هو الدلالة الناتجة عن العلاقات بين الكلمات المتجاورة مع بعضها البعض في جملة ما، مما ينتج خاصا محددا، ويمكن أن نضرب مثالا على ذلك كلمة "عين" حيث نجد أن لها في المعجم معاني كثيرة، ومتعددة، مثل (عضو الإبصار، الجاسوس، وسيد القوم، وعين الماء، وغيرها الكثير لكن الذي يحدد المعنى الذي نريده هو السياق، فعندما نقول: في الجبل عين جارية؛ فإننا نقصد هنا (عين الماء)، وعندما نقول: هذا عين العدو، فإننا نقصد هنا (الجاسوس)، وكذلك في جميع سياقات الكلام.
2- السياق العاطفي: وهو الذي يحدد طبيعة استعمال الكلمة بين دلالتها الموضوعية، ودلالتها العاطفية، كما أنه يحدد درجة الانفعال بين القوة والضعف، مثل: استخدام بعض الكلمات في حالة الغضب دون أن يقصد معناها الموضوعي مثل (الذبح القتل الضرب وغيرها)، كقول الإنسان في حالة الغضب لأقتلنك، فهو لا يرد هنا القتل بمعناها الموضوعي أي خروج الروح من الجسد، وإنما على سبيل تفريغ للعاطفة، وغليان النفس من الغضب.

(1)نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها و قضاياها الراهنة ص 121

3-سياق الموقف: ويقصد به الظروف الخارجية، أو المؤثرات التي تؤثر على الكلام نابع من المحيط الخارجي، وليس من اللغة ذاتها، وبدل سياق الموقف على العلاقات المكانية، والزمانية التي يجري فيها الكلام، مثل جملة: "يرحمك الله"، التي تقال في مقام تشميت العاطس، في حين أن جملة: "الله يرحمه"، فتقال في مقام الترحم على الميت؛ فالأولى بدأ بالفعل وتدل على طلب الرحمة في الدنيا، في حين أن الثانية بدأت بالاسم وتدل على طلب الرحمة في الآخرة.

4- **السياق الثقافي**: وهو الدلالة التي تؤديها الظروف الاجتماعية، أو الثقافية في تحديد معاني الكلمات في سياق ما، مثل كلمة (حرمة)، وكلمة (مدام؛ فالأولى تستخدم بين طبقات المجتمع المتوسطة ذات الثقافة القليلة، بينما تستخدم الكلمة الثانية بين طبقات المجتمع العالية ذات الثقافة المرتفعة للدلالة على الزوجة.